الصاعقة السادسة والستون: عَزيزُ إساً مَن داؤهُ الحَدَقُ النُّجلُ(*)

عَـزيـزُ إسيً مَن داؤهُ الحَـدَقُ النُّجلُ ... عَـيـاءٌ بِـهِ مـاتَ المُحبّـونَ من قَـبْلُ

فَـمنَ شـاءَ فَليَنظُرْ إليَّ فـمَنظَري ... نَذير إلى مَن ظَنَّ أنَّ الهَـوى سَـهلُ

ومـا هِيَ إلاّ لحظَةٌ بَعـدَ لحظَةٍ ... إذا نَزلَت في قَلبِـهِ رَحلَ العَـقلُ

جَرى حبُّها مَجرى دَمي في مَفاصِلي ... فأصبَحَ لِي عَن كلِّ شُغلٍ بِها شُغلُ

سَـبَـتني بدَلٍّ ذاتُ حُـسنٍ يَزينُها ... تكَحُّلُ عَـينَيـها وليسَ لَها كُـحلُ

كـأنَّ لحـاظَ العينِ في فَـتكِهِ بِنَا ... رَقـيبٌ تَعَـدَّى أو عَـدُوٌّ لَهُ دَخلُ(١)

ومن جَسَدي لَمْ يَترُكِ السّقمُ شعرَةً ... فَـما فَوقَـها إلاّ وفـيـها لَهُ فِعلُ

إذا عَـذَلُوا فـيـها أجَـبتُ بأَنَّهُ: ... حُـبَيَّـبتي قلبي فُؤادي هيا جُملُ

كـأنَّ رَقـيبًـا منكِ سَـدَّ مَسامِعي ... عنِ العَذلِ حتى ليس يدخلها العذلُ

كـأنَّ سُـهـادَ اللَّيلِ يَعشَقُ مُقلَتي ... فَبـينَهُـمـا في كلِّ هَجرٍ لنا وَصْلُ

أُحِبّ التي في البدرِ منها مَشابهٌ ... وأشكو إلى مَن لا يُصابُ له شكلُ

إلى واحِدِ الدُّنيا إلى ابنِ مُحَمَّدٍ ... شُجاعَ الذي للهِ ثمّ لَهُ الفَضْلُ

إلى الثَّمَرِ الحُلوِ الذي طَيِّءٌ لَهُ ... فُرُوعٌ وقَحطانُ بنُ هودٍ لَها أصلُ

إلى سَيِّدٍ لَوْ بَشَّرَ اللهُ أُمّةً ... بِغَيرِ نَبِيٍّ بَشرتنا بِهِ الرُّسْلُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي.

(١) الدخل: الشك.

إلى القابضِ الأرواحِ والضَّيغَمِ الذي ... تُحَدّثُ عن وَقفاته الخَيْلُ والرَّجْلُ
إلى رَبِّ مالٍ كُلَّما شَتَّ شَملُهُ ... تَجَمَّعَ في تشتيته للعُلى شَملُ
هَمَامٌ إذا ما فارَقَ الغمدُ سَيفُهُ ... وعاينتَهُ لَم تدرِ أيّهما النَّصلُ
رَأيتُ ابنَ أمّ الموتِ لَو أنَّ بأسَهُ ... فَشا بينَ أهلِ الأرضِ لا نقطَعَ النَّسلُ
عَلى سابحٍ مَوجُ المنايا بنحرِهِ ... غَداةَ كأنَّ النَّبلَ في صَدرِهِ وَبلُ
وكَم عَينِ قرنٍ حَدَّقَتْ لنزالِه ... فَلَمْ تُغضِ إلاّ والسّنانُ لَها كُحلُ
إذا قيلَ رِفقًا قالَ للحلم مَوضعٌ ... وَحلمُ الفَتى في غَيرِ مَوضعِهِ جَهلُ
ولولا تَولّي نَفسِهِ حَملَ حلمِهِ ... عن الأرضِ لانهدَّت وناء به الحملُ
تَباعَدَت الآمالُ عَن كلِّ مَقصدٍ ... وضاقَت بِها إلاّ إلى بابِهِ السُّبلُ
ونادى النَّدى بالنّائمينَ عن السُّرى ... فأسمعَهم هُبّوا فقد هَلَكَ البُخلُ
وَحالت عَطايا كَفّهِ دونَ وَعدِهِ ... فَلَيسَ لَهُ إنجازُ وَعدٍ ولا مَطلُ
فأقرَبُ من تَحديدِها ردُّ فائتٍ ... وأيسَرُ من إحصائِها القَطرُ والرَّمْلُ
وما تَنقمُ الأيّامُ مِمَّن وُجُوهُها ... لأخمَصِهِ في كُلِّ نائبَةٍ نَعلُ
وما عَزَّهُ فيها مُرادٌ أرادَهُ ... وإنْ عَزَّ إلاّ أن يكونَ لَهُ مِثْلُ
كَفى ثُعَلًا فَخرًا بأنَّكَ منهُمُ ... ودَهرٌ لأن أمسَيتَ من أهلِه أهلُ
وَويلٌ لِنَفسٍ حاوَلَتْ منكَ غِرَّةً ... وَطُوبى لِعَينٍ ساعَةً منكَ لا تَخلُو
فَما بفَقيرٍ شامَ بَرقَكَ فاقَةٌ ... وَلا في بِلادٍ أنتَ صَيِّبُها مَحلُ[1]

(١) شام: نظر. الصيّب: المطر القوي.